

قضايا الأدب والآداب

حوار سوفيائي لبناني في بيروت حول :

الأدب وأفكار العصر والعلاقات الثقافية

الكتاب السوفيائي الاصدقاء . ان هذا اللقاء هو حلقة من سلسلة نرجو ان تكون طويلة لتوثيق عرى الصداقة والتضامن بين الاتحادين وبين الشعبين اللبناني والسوفيائي على صعيدي الفكر والأدب . ولا بد لي ، أولاً ، من أن أشكر اتحاد الكتاب السوفيائي على مبادرته الأولى ، منذ عامين ، بدعوة عدد كبير من اتحاد الكتاب اللبنانيين الذي كان قد بم انشاؤه حديثاً ، وكان لهذه الدعوة اثرها الكبير لدى الاعضاء وفي تدعيم هذا الاتحاد الذي يحاول أن يقوم بدوره في ميدان الأدب العربي وميدان توثيق العلاقات مع جميع الكتاب اصدقاء الحرية والتقدم .

تم أبدي الدكتور سهيل ادريس أسفه لعدم استطاعة كامسـل ياسين ، رئيس الوفد السوفيائي ، المشاركة في الندوة ، وذلك لانه أصيب بعارض مفاجئ اضطره الى ملازمة الفراش ، ولم يسمح له الطبيب أن يشارك في أعمال الندوة . على ان كامل ياسين قد ادلى ببعض الاحاديث الصحفية ، خصوصاً فيما يتعلق بموضوع العلاقات الثقافية ودورها في توثيق الصداقة بين الشعوب . ولا بد أن نشير هنا الى بعض ما جاء في حديثه الى « ملحق الانوار الاسبوعي » وذلك لعلاقته بالاحاديث التي جرت في الندوة نفسها .

□ قال كامل ياسين :

— ان العلاقات الثقافية بين شعوب الاتحاد السوفيائي والشعوب العربية تعود الى تاريخ قديم . ان « الف ليلة وليلة » مفخرة آداب الشعوب العربية مترجمة الى مختلف لغات الاتحاد السوفيائي ، وهذه العلاقات تطورت بشكل خاص في السنوات الاخيرة ، فاستمع تبادل الكتب والخبرات بين مختلف الكتاب . ان قراءنا يقرأون بمختلف لغات شعوب الاتحاد السوفيائي مؤلفات الكتاب العرب المعاصرين امثال : نوفيقي الحكيم ونجيب محفوظ ومحمود نيمسور ويوسف السباعي ويوسف ادريس وعبد الرحمن الشرفاوي وعبد الرحمن الخميسي والكنابين الجزائريين كاتب ياسين ومولود معمري ، والادباء اللبنانيين جبران خليل جبران (« الاجنحة المتكسرة » بشكل خاص) واميسن الريحاني وميخائيل نعيمة وسلمى صائغ وسهيل ادريس ورضوان الشهبال وشفيق الملوغ ونقولا فياض وكريتيك عطاريان ومحمسد دكروب وجورج حنا وغيرهم والشاعرين الفلسطينيين محمود درويش ومعين بسيسو ، ويحتاج الامر الى صفحات عديدة لذكر جميع الكتاب والترجمات ، وان اكثرية هذه الترجمات منقولة الى معظم لغات شعوب الاتحاد السوفيائي (حوالي ٩٠ لغة) . وينتظرنا عام ١٩٧٣ لقاء جديد في « الما آتا » عاصمة كازاخستان السوفيائية ، حيث سينعقد المؤتمر الخامس لكتاب اسيا وافريقيا . وقد بدأنا منذ الآن التحضير لهذا المؤتمر الكبير بالاعداد لترجمة وطبع مؤلفات جديدة لكتاب شعوب هاتين القارتين ، لا سيما مؤلفات الكتاب اللبنانيين . ونحن فسي زيارتنا هذه للبنان نسعى لاختيار مجموعة من مؤلفات وأعمال الادباء اللبنانيين من نثر وشعر لكي نترجمها ونصدرها بمناسبة المؤتمر الخامس . هناك سبع عجائب في الدنيا ، ونحن نعتبر الكتاب الاعجوبة الثامنة ، فالكتاب يقرب بين الناس ويربطهم بأواصر المحبة والاحترام ويوحد بينهم ، ونحن نولي الترجمة وطبع مؤلفات كتاب اسيا وافريقيا وغيرها من القارات عناية خاصة واهتماماً بالفا ، كما نقوم بالدعاية لاجل هذه المؤلفات ونشرها . وهذه المؤلفات تصدر بعدد كبير من

العلاقات بين الكتاب السوفيائي والكتاب اللبنانيين لم تعد مجرد علاقات بين كاتب وكاتب ، بل ان هذه العلاقات تحولت وتحوّل باستمرار الى علاقات صداقة شخصية قوية تعمق باستمرار العمل الدائب حتى يتاح لكتاب البلدين ، ولشعوبهما ، معرفة ثقافات وآداب كل منهما ، خصوصاً عن طريق الترجمة والنشر وكتابة الدراسات النقدية حول هذه الآداب هنا وهناك . وهذه العملية الخلافة تجري في اطار الخط الانساني المشترك الذي يجمع الكتاب السوفيائي والعرب ومختلف الكتاب التقدميين في النضال المعادي للاستعمار والصهيونية ولكل ما يشوه حياة الانسان ، ومن أجل التقدم الاجتماعي ، وسلام العالم .

وقد شهدت بيروت ، خلال شهر ايار ١٩٧١ ، حدثاً ثقافياً جديداً وهاماً في مجال تطوير هذه العلاقات ، وتنوع أشكالها ، واغنائها بالعمل المنتج . فقد وصل الى العاصمة اللبنانية وفد من اتحاد الكتاب السوفيائي بدعوة من اتحاد الكتاب اللبنانيين ، بهدف عقد ندوة مشتركة حول موضوع « الأدب وأفكار العصر » وبتطوير العلاقات بين الاتحادين . وكان اتحاد الكتاب اللبنانيين قد وجه الدعوة الى الكتاب السوفيائي خلال وجود وفد منه في الاتحاد السوفيائي عام ١٩٦٩ ، حيث عقدت ندوة مشتركة حول موضوع « الأدب والمجتمع » .

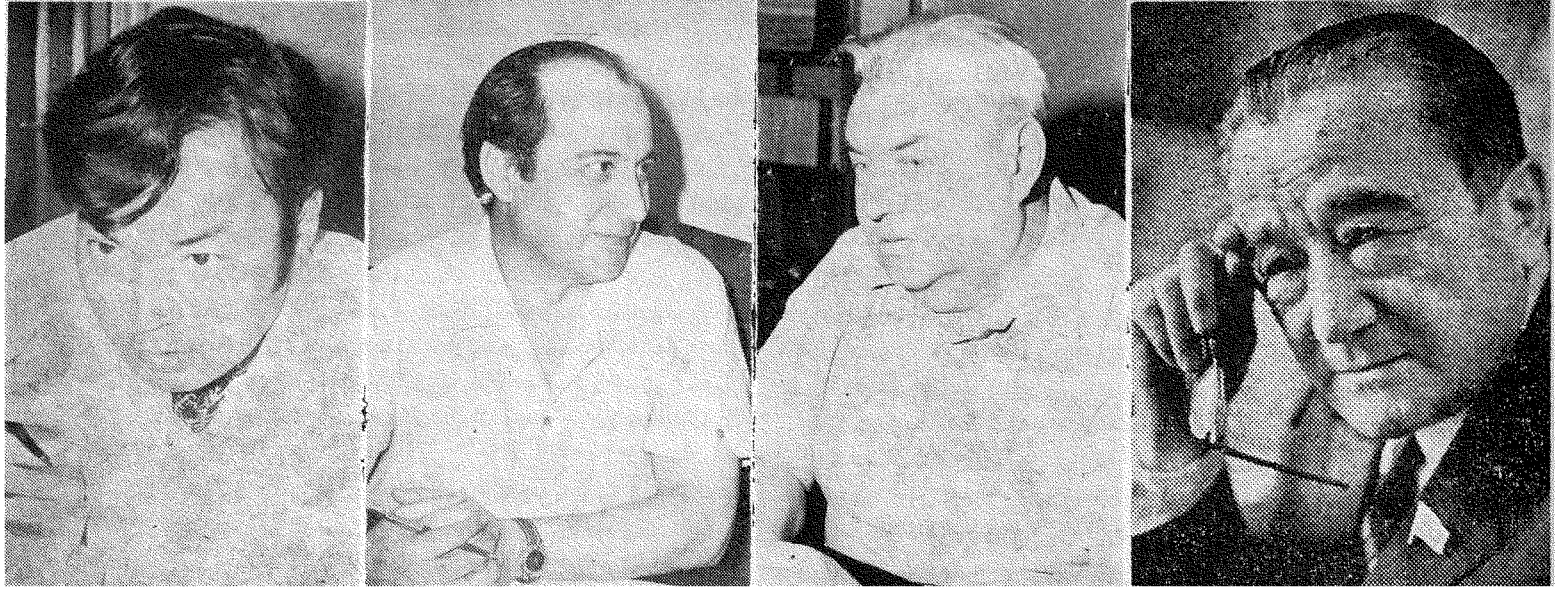
اما الوفد السوفيائي الذي وصل الى بيروت يوم ٦ ايار ١٩٧١ ، فهو يتألف من : رئيس الوفد كامل ياسين ، وهو كاتب مسرحي معروف وسكرتير اتحاد الكتاب السوفيائيين . وانا تولي سافرونوف ، وهو شاعر وكاتب مسرحي معروف ، ورئيس تحرير مجلة « أوغنيوك » الاسبوعية الواسعة الانتشار . وأولجاس سليمانوف ، وهو أحد أبرز الشعراء الشباب في الاتحاد السوفيائي . وأولغ اكرزيبيكوف ، وهو ناقد ، وأمين عام اللجنة السوفيائية للعلاقات مع كتاب آسيا وافريقيا .

وبين ٨ و ١٤ ايار ، عقدت الندوة المشتركة جلساتها في قاعة « جمعية اصدقاء الكتاب » . وقد شارك في جلسات الندوة مسن الجانب اللبناني : الروائي القصاص الدكتور سهيل ادريس ، الامين العام لاتحاد الكتاب اللبنانيين . والشاعر الدكتور خليل حاوي ، نائب الامين العام . والباحث عمير البعلبكي ، سكرتير الاتحاد . والباحث الدكتور محمد يوسف نجم والناقد والباحث حسين مروة والشاعر جورج غانم والباحث أحمد ابو سعد والشاعر فؤاد الخشن والكاتب الناقد محمد دكروب والشاعر الدكتور ميشال سليمان والناقد الدكتور ميشال عاصي والكاتب المسرحي ادوار البستاني والقصاص الروائي محمد عيتاني والشاعر الفنان رضوان الشهبال والباحث الناقد أحمد علي .

وسوف نحاول هنا اعطاء خلاصات وخطوط عامة لما جرى في الندوة من احاديث وحوار واقتراحات ومناقشات ، سواء حول الموضوع العام للندوة أم حول مختلف القضايا الفرعية الاخرى .

افتتح الدكتور سهيل ادريس ، الامين العام لاتحاد الكتاب اللبنانيين ، الجلسة الاولى للندوة بقوله :

يسعد اتحاد الكتاب اللبنانيين أن يرحب بهذه النخبة مسن



اولجاس سليمانوف

اوليخ اجزيبيكوف

اناولي سوفرونوف

كامل ياشين

الجمهوريات السوفياتية المختلفة ، وكان بعضها ، قبل الثورة ، لا يملك حتى أبجدية ، ولا يعود تاريخ أدب البعض الآخر الى أكثر من ٥٠ سنة . والآن ازدهرت في هذه الجمهوريات مختلف أنواع النشر والشعر ، بأشكال حديثة معاصرة ، وتتطور ملاحم من نوع جديد ، أما القصائد الطويلة فقد أخذت تنفصل عن التقاليد القديمة وترتبط أكثر بتطورات العصر . كما ان المسرح تطور في هذه الجمهوريات بشكل مدهش ، ونذكر زميلنا كامل ياشين ، فان مسرحياته الاوزبكية معروفة ومحبوطة على نطاق الاتحاد السوفياتي كله .

■ في البلاد العربية الآن اهتمام بأدب البطولة . أحب لهذا أن أتحدث عن عدد من الروايات السوفياتية التي صدرت مؤخرا والتي تستلهم بطولات شعبنا خلال الحرب الوطنية الكبرى ضد الاحتلال النازي . واود أن اشير الى رواية « الثلج الحار » لبوندارييف ، هذه الرواية لا تتناول تاريخا طويلا بل فترة قصيرة في عام ١٩٤٢ حيث تقرر مصير الحرب في ستالينغراد . بطل الرواية واحد من رجال المدفعية الذين أوقفوا زحف الالمان . فيها صفحات بطولية رائعة ، مشحونة بالدراما ، وهي تأسر قلب القارئ بالتحليل النفسي لاباطل يعيشون في جحيم الحرب .

انتقل الى ثلاثية سيمونوف « الصيف الاخير » ، وهو صيف ١٩٤٤ . مرحلة هجوم الجيش السوفياتي ومطاردة القوات النازية بعد احتلال طويل وقاس ومرير . تصور هذه الرواية الصراع قرب الحدود السوفياتية - الالمانية . وملتقي هنا باباطل روايات سيمونوف السابقة . وقد تكون هذه الرواية جافة قليلا ، ولكنها تعطي لوحة واسعة عن حربنا في مرحلة الهجوم .

ومن الروايات التي حازت شهرة واسعة رواية « الحصار » لتشاكوفسكي . وهناك رواية جديدة لابانوف بعنوان « الدعاء الابدي » ، ذات تركيب فني حديث معقد ، فالكتاب ينتقل أحيانا الى ما قبل الثورة ، ثم يقفز الى أحداث الحرب العالمية الثانية ، ويعود الى أيام السلم والبناء . وهي تروي قصة عائلة ، والتناقضات بين اشخاص هذه العائلة وداخل كل شخص منها .

سبق لبعض النقاد ان قال : ان الكتاب السوفيات وصفوا تراجعنا أمام الالمان ومعاناة شعبنا خلال الاحتلال ، أما كيف هجمنا فيما بعد ، وطردها النازيين ، واستعدنا اراضيها ، وحطمنا الآلة العسكرية النازية ، فهذا لم نصوره بعد كما ينبغي .

النسخ يزيد على ١٠٠ ألف نسخة . وقد أصدرنا بعد مؤتمر بيسروت أكثر من ٣٠٠ مؤلف ادبي بلغ مجموع نسخها أكثر من ١٥ مليون نسخة . وبعد مؤتمر دلهي بلغت هذه المؤلفات المترجمة أكثر من ٨٠٠ ، وفي هذا العام نود ان نصدر سلسلة من الكتب ذات الطباعة الانيقة للكتاب الحائزين على جائزة مجلة « لوتس » امثال طوهواي الفيتنامي والكسي لاغوما من جنوبي افريقيا وباتشان من الهند واغوستينيو ناتو زعيم حركة التحرر الوطني في انغولا والشاعرة الاوزبكية زلفيسا والشاعر الفلسطيني محمود درويش . ومجلة « لوتس » تصدر بثلاث لغات وقد ظهرت بالضبط بعد عقد مؤتمر بيروت .

وفي أواخر حزيران سينعقد في موسكو المؤتمر الخامس لكتاب الاتحاد السوفياتي . وتجري في هذه الايام مؤتمرات كتاب الجمهوريات السوفياتية استعدادا للمؤتمر العام تحت هذا الشعار : « ليس فقط الادب السوفياتي بل وآداب شعوب اسيا وافريقيا » .

ملاح عن الادب السوفياتي

وكانت الجلسة الاولى للندوة مخصصة لسماع حديث اناولي سافرونوف عن بعض اوجه الادب السوفياتي الحاضر . وقد استظفنا ان نسجل بعض ما قاله بهدف التعريف ببعض الروايات السوفياتية الجديدة وموضوعاتها .

□ قال اناولي سافرونوف :

- نحن مكلفون بنقل أحر التحيات من قسطنطين فيدين رئيس اتحاد الكتاب السوفيات ، ومن باقي سكرتيري الاتحاد . اننا ، مثلكم ، نولي أهمية كبرى امثل هذه اللقاءات بيننا . ونحن لا نزال نتذكر ونتحدث بكلام طيب عن لقائنا في موسكو خلال الندوة الاولى . هذه اللقاءات تتيح لنا أن نتعرف عليكم شخصيا ، وليس فقط من خلال الكتب ، كما نتعرف أكثر على حياة شعبيكم وثقافته العريقة .

■ من الصعب جدا اعطاء لمحة موجزة ، عن الادب السوفياتي المعاصر ، ذلك ان الادب السوفياتي ينتج في ١٦ جمهورية وينشر في حوالي ٩٠ لغة من لغات شعوب الاتحاد السوفياتي . أما اتحاد الكتاب السوفيات فيضم أكثر من ٦٠٠٠ عضو . وقد ازدهر جدا أدب

الحركة المسرحية في لبنان» . وسوف نحاول ، هنا ، اعطاء خلاصات موجزة عن هذه الاحداث ، الموجزة في الاصل :

□ من كلمة الدكتور ميشال سليمان :

قال الدكتور ميشال سليمان انه لا تزال تتعايش في لبنان عدة مدارس وتيارات شعريّة ، برغم ما بينها من تناقض ، شكلي وأساسي . وقد أوجز هذه المدارس بما يلي :

أ - مدرسة الشعر الكلاسيكي المعتمد كليا بالاصول التعبيرية العربية ، والذي ما برح قائما على وفيات مثبوية ، تهدد اذانا ألفت نغمية بحور الشعر العربي الرتيبة ، التي تقيد التعبير والتناول ، وامكانيات الشاعر الذي تأبى عليه ثقافته التقليدية الموروثة الا ولوج أبواب الوعظ البليد ، و اظهار الشفقة الساذجة ، والحنين الـسى الماضي السعيد والتمرد على الحاضر في بعض المواقف . الا ان هذه المدرسة تبدو بوضوح انها أسيرة البيت الشعري المندرج في سياق من النظم الجيد أحيانا في براعته اللفظية .

ب - مدرسة مخضرة ، تعيش على بعض من أسس الاصولية التقليدية ، وبعض مما طعمها به الشعراء المهجريون ، الذين طوروا شكل القصيدة الكلاسيكية ، وأمدوها بحرارة جديدة ، ويحاول أنصار هذه المدرسة التخلص من الرتابة التي يحسون بثقلها . الا انهم مع ذلك لم يستطيعوا التخلص من قبضة القياس التقليدي المتحسول شكلا ، وما برحوا يسبحون في بركة الضياع ، معبرين عن تهويمات نفسية ، وتعامل ذاتي تسجيلي ، يتراوحون به في قضايا فردية صغيرة وقضايا اجتماعية سطحية لا علاقة لها بالجذور المأما .

ج - وهناك مدرسة جديدة ، تفلتت من قيود التبعيد للتقليد ، فتخلصت من قيود البحر ، واتخذت السطو الشعري أداة ووسيلة للتعبير ، كما انها تفلتت في أحيان كثيرة من كل قياس ، وراحت تبحث لها عن موسيقى داخلية جديدة ، وإيقاعات يتدرج فيها الرمز والإيحاء والصورة ، فتحاول جميعا أن تستوعب حركة الواقع ، أن ترصدها ، وتنقلها الى الجماهير الشعبية على اختلاف مستوياتها الثقافية . وقد اصبح لهذه المدرسة الجديدة وجهان :

الاول : بدلا من ان يوفق بين نزغته الثورية في تفجير الشكل التقليدي للقصيدة العربية ، وبين القصيدة ذاتها ، عنيت مدلولها ، فيضمونها مفاهيم ثورية وينقذها من العيشة ، والضياح ، والانتهازية العنوية ، راح يوغل بها في متاهات الصوفية الخدرة المفرغة من كل محتوى ثوري فعلي ، الا ما ترهص به بعض المبررات الطنانة ، التي ليست اكثر من ترف فكري وفني محض ، يدغدغ نفوس البورجوازية المتوسطة والصغيرة ، ويضلها عن أهدافها ، باسم التجديد ، كما يضل العديد من المثقفين المنتمين اجتماعيا الى قطاعات وطبقات ذات مصلحة في الثورة ، فيتحولون ، انجرافا في هذا التيار ، من قوى ثورية على الصعيدين الفني والاجتماعي ، الى عناصر مشلولة تلمس طريق خلاصها في فراغ ، ضمن الايديولوجية الاصلاحية .

أما الوجه الثاني من هذه المدرسة الجديدة في الشعر اللبناني (أعني بالشعر اللبناني الشعر الذي يصدر في لبنان ، ولا يتميز عن الشعر العربي الا بنكهته ، كما هو شان شعر سائر الاقطار العربية) فهو التيار الذي لا يزعم لنفسه انه باديء من لا شيء ، وانما اعتبرت انه الوريث الشعري لسائر معطيات الشعر العربي العظيم ، والفيلم على تطويره وجعله يواكب حركة الواقع ، ويبحث عن صيغ فنية جديدة للتعامل مع الانسان بنية تويره في المجتمع الثائر .

هذا الوجه من الشعر اللبناني الحديث الحاضر والفاعل في الواقع ، والمترامي شطر المستقبل ، هو الذي سنوليه قسطا من تحليل وتحليل ، لانه يشكل قطاعا هاما من قطاعات المعرفة ، أو قبل

هذا الحكم كان صحيحا . فان الآلام التي عاناها شعربنا كانت عميقة وفاجعة الى درجة انه لا يمكن الا التعبير عنها لما فيها مسن تراجيديا مؤثرة ، وبطولات أشبه بالمعجزات . وربما ان وصف الهجوم العاصف والانتصار على العسكرية الامانية ، كان يحتاج الى وقت أطول لتصويره بشكل ملحمي . ويبدو ان هذا الوقت قد حان ، وها هي الآثار الروائية الجديدة عن الحرب تصور مرحلة الانتصار . ان شعبنا يذكر باحترام عظيم أولئك الأبطال الذين دافعوا عن الوطن الاشتراكي واستشهدوا في سبيله . لهذا فان القراء يقبلون على هذا النوع من الروايات الملحمية .

■ تسألون عن تفسير ظاهرة هذه العودة الى موضوعات الحرب ، وعن الهدف منها ؟ . ان سنوات الحرب هي صفحات خالدة في تاريخ كفاحنا . ان آلامها ومآثرها ماثلة في أعماق كل انسان فسي بلادنا . وليس جديدا عليكم أن تعرفوا ان جميع مؤلفي هذه الروايات قد شاركوا في الحرب .

لماذا نعود الآن الى انتاج مثل هذه الروايات ؟ ربما لان كل كاتب منا لم يقل بعد كل ما عنده حول هذا الموضوع . وربما لان الكاتب يشعر بضرورة التنقيف الدائم للجيل الجديد ببطولات المدافعين عن وطنه ، وعن سلام العالم معا . وربما حتى يظل شعبنا على استعداد دائم للدفاع عن وطنه ، وعن سلام العالم . أنا كنت جنديا ، واشتركت في معارك الففاس . الآن ، فقط ، بعد سنوات طويلة ، أكتب سيناريو فيلم عن هذه المعركة . والفيلم لوحة بانورامية من تاريخنا البطولي . ثم كتبت مؤخرا مسرحية حول الرحلة نفسها . شعرت بأن هذا الموضوع بالذات قد نضج عندي الآن .

على ان موضوعات الحرب الوطنية ليست هي اكثر موضوعات الادب السوفياتي المعاصر . أدبنا متنوع جدا ، فهو يتناول موضوعاته من التاريخ ، ومن العصر ، ومن الحب ، والصراع ، وقضايا المجتمع الجديد . في ميدان الشعر ، تدور الآن مناقشات خلقة بين مختلف الاتجاهات الفنية . وأستطيع القول ان الشعر أخذ ينظر الى الموضوعات نظرة فلسفية . كما ان مختلف كتابنا أخذوا يدخلون أعقق فأعمق داخل نفس الانسان ، وداخل تفقيدات الحياة المعاصرة .

■ بعض المفترين ، والساذجين ، في الغرب يقولون : طالما ان ان الاقتصاد عندهم مبرمج ، فان الادب كذلك مبرمج أيضا ! . هذه تفاهة ! الادب لا يمكن أن يبرمج . لان عملية الكتابة لا تتم حسب الاوامر ، بل بدوافع ذاتية ومزاجية عند هذا الكاتب أو ذاك . طبعا هناك برمجة في ميدان النشر . لكل دار نشر برنامجها الذي يمتد أحيانا الى خمس سنوات . وهذه حال أي دار نشر كبرى في مختلف أنحاء العالم .

■ أدبنا يستفيد من كل المنجزات الجديدة في الآداب العالمية ، ولكنه لا يقلدها ، لان له أصالته أولا ، ولان مجتمعا غير المجتمع الرأسمالي ، ومطالب القراء عندنا غير مطالب قراء الادب المعقد . نريد للادب ان يكون عميقا لا معقدا .

الجلسة الثانية : ملامح عن الادب والثقافة في لبنان

الجلسة الثانية للندوة كانت مخصصة لاعطاء أصدقاؤنا السوفيات لمحات عن الادب والثقافة في لبنان . وقد كان الكتاب السوفياتي يستجوبون باهتمام ، من خلال الترجمة ، العناصر والتفاصيل الاساسية في كلمات الكتاب اللبنانيين ، بهدف الكتابة فيما بعد عن الندوة وتعريف القارئ السوفياتي بخصائص وعناصر الادب والثقافة في لبنان والبلاد العربية .

في هذه الجلسة تحدث الدكتور ميشال سليمان عن « الشعر اللبناني الحديث في الواقع والصورورة » ، والدكتور ميشال عاصي عن « الوضع الثقافي في لبنان » ، وادوار البستاني عن « تطور

جانبا الانقى ، كما يشكل قدرة ذاتية مندرجة في سياق عملية جماعية عامة تهدف الى تبديل الواقع ...

وبعد ان يشرح الدكتور سليمان ارتباط هذا الشعر بالانسان والمجتمع في لبنان والبلاد العربية ، وبالتقافة العربية الاصيلية ، ويصفه بأنه « اרת متحول » ، يصل الى القول ان هذا الشعر يقوم بالضرورة على خصائص جديدة تتمثل في ثلاثة عوامل هي :
اولا : رؤيا Aeve كونية ، بقدر ما هي ذاتية ، تتفاعل في

محيطها جذور الماضي بمعطيات الحاضر ، بانبعاد المستقبل .
ثانيا : رؤيا VISION مزودة بقدرة جديدة في تناول

الرؤيا ، تكون بمثابة التعاقب المتحول الى حاضر صرف ، يتفدى من واقعه ، ويحول هذا الواقع لكي يشكل تجربة انسانية قادرة على تجاوز ذاتها ، وفتح قيودها التي تكبلها بما هو آني ، لكي تصبح تجربة أخرى ، وقتلا على حدود المستقبل .

ثالثا : فعل جمالي Acte esthétique

متدرج في سياق لفة رؤوية تلملم بذور الافكار التجريدية ، وتتيح لها مجالات التفتح في صور ورموز وانفعالات حسية ، على وجه التجسيم والتجسيد داخل الفعل الذاتي الذي لا يكون سوى الموقف ، وداخل ردود الفعل الموضوعية التي بانعكاسها على الذات الفاعلة تشكل ما يسمى بالمعانة .

ثم يوضح الدكتور سليمان كيف تتجلى هذه الخصائص على الصعيد الفني والاجتماعي ، ويؤكد ، في النهاية ، على ارتباط تطور حركة الشعر الحديث نحو الانتشار الواسع والفعل الاعمق في الناس ، بضرورة ان تصل الثقافة والمعرفة الى كل الناس ، وهذه مسألة اجتماعية تحتم على الشاعر ان يتحمل مسؤوليته في الهدم وفي البناء .

■ بعد هذا الحديث ، حرص الكتاب السوفيات ان يعرفوا أسماء عدد من الشعراء مثلي هذه المدارس والاتجاهات والتيارات التي وصفها الدكتور سليمان ، حتى تصبح اللوحة ملموسة اكثر .
ثم تحدث ادوار البستاني عن حركة المسرح في لبنان .

□ من كلمة ادوار البستاني :

- بدأ المسرح في لبنان مع تاجر لبناني ، هو مارون النقاش ، تجول في أوروبا ، ونقل المسرح اليها كشكل ، ونقل شكله لانه وضع في مقدمة المسرح صندوقة الملحن بسندون ملحن ، أي بدون ان يعرف وظيفتها .. كان هذا هو جدنا !

بعد مارون النقاش ، ظهر في أزمنة متفرقة ، ممثلون هواة ، ومؤلفون يؤلفون في المناسبات . وكانت اكثر موضوعاتهم مستخرجة من التاريخ القديم ، وتقدم للجمهور اما في الاعياد واما في أواخر السنوات المدرسية .

هذا هو التاريخ الاول للمسرح اللبناني .

التاريخ الآخر : عام ١٩٦٠ . ففي هذا العام تلاققت ثلاثة عناصر مهمة : عاد منير أبو ديس من أوروبا بعد دراسة مسرحية . والتقى مع الممثل أنطوان ملنقى . وفي العام نفسه أصدر أنطوان معلوف مسرحيته الاولى . فكان هذا اللقاء الثلاثي ، الولادة الاولى للمسرح اللبناني الحديث .

تاريخ ثالث : ١٩٦٦ . في هذا العام حصل امران مهمان : الاول افتتاح أربعة مسارح في لبنان . قبل هذا لم يكن في لبنان أي مسرح دائم . الثاني : عرض أول مسرحية شعبية عندنا هي : « ضاعت

الطاسة » .

بعد هذا ، بدأ اهتمامنا بالمسرح السياسي ، فقدمنا « صعود أرتيرودي لبريشت . ومن المسرحيات السياسية المؤلفة « وايزمانو وشركاء » لجلال خوري . ثم أخذنا نرى كثيرا من المؤلفين والممثلين والمخرجين : ريمون جبارة الذي كان ممثلا وصار مخرجا ومؤلفا ، واسامة العارف الذي بدأ حياته المسرحية بمسرحية طريفة هي « اضراب الحرامية » ، ويعقوب الشداوي من المخرجين ، وغيرهم .

مثل هذه الخارطة نراها في بلدان عربية أخرى ، حيث بدأ المسرح حياته كذلك منذ سنوات قليلة ، والشيء المشترك بين هذه المسارح هو ان نشوؤها ارتبط بقدوم مخرجين عرب تخصصوا في الخارج ثم أخذوا يهتمون بالترجمة والاقتناس .

من هذا الواقع ، تنبثق مشكلات عديدة ، أولها : ان المسرح هو شكل أوروبي غربي انفرس في التربة العربية ، وهذا سبب هام لكثير من المشاكل الاخرى :

مشكلة اللفة ، مثلا : فنحن نملك لفة قومية عامة ، ولهجات محكية خاصة . هل نلعب بالفصحى أم نلعب بالعامية ؟ في رأيي ان المشكلة ليست في الفصحى أم في العامية ، بل في ضرورة ايجاد لفة مسرحية .

ومشكلة أخرى هامة ، هي ان العمل المسرحي عندنا لا يزال مبادرات خاصة تعود بالخسارة المادية على المسرحيين أنفسهم ، فلا يزال أكثرهم هواة ، يشتغلون في غير المسرح ليحصلوا أسباب عيشهم ويلينفوا أيضا على أعمالهم المسرحية . وبالنسبة للجمهور لا يزال قليلا جدا وموزعا ولم يتكون عندنا ، بعد ، الجمهور المسرحي .

هذا الذي نعانيه في لبنان ، يعانيه اخوان لنا في سوريا ومصر أيضا . وقد قال الناقد محمود أمين العالم ، خلال لقاء المسرحيين في دمشق : « ان المسرح المصري يتوزع بين مسرح تجاري سهل يرضي الجمهور غير التطلب ، ومسرح يدعي الثورية ولكنه يكتفي بالعرض ويبقى سطحيا ، ومسرح يدعي الثقافة ولا يأخذ منها الا التفتيد ! » .

عندنا كذلك المثائرون « بالمسرح الطليعي » والذين يسنعينون بالاشكال الاوروبية الحديثة ، أو يبحثون عن اشكال شرقية .

وفي النهاية أستطيع القول : ان أخذنا للاشكال الاوروبية الجديدة ، وحماسنا لمسرح بريشت ، لا يزال زيا . ولا بد لنا ان نتعمق دراسة هذه الاشكال الجديدة ، ونستوعبها ، حتى نستطيع ان نخضعها لحياتنا ، ونعبر بها عن حياتنا هذه وعن ارادة التغيير عندنا .

■ وقد حرص الاصدقاء السوفيات على معرفة دور ادوار البستاني نفسه في الحركة المسرحية اللبنانية ، ثم وجهوا بعض الاسئلة حول عدد من القضايا المسرحية . ثم ألقى الدكتور ميشال عاصي حديثا عن « الوضع الثقافي في لبنان » تقدم موجزا له فيما يلي :

□ من كلمة الدكتور ميشال عاصي :

- ان بلدنا ، ايها الاصدقاء ، كان ، وما يزال منذ أمد بعيد ، يعيش بصورة رئيسية ، على نوع من الاقتصاد الماركنتيلي ، يتلبس اليوم ثوب النظام الليبرالي الذي تعرفون . ان الماركنتيلية تعني المتاجرة بكل شيء في سبيل الربح ، ولا شيء غير الربح ، ومزيد من الربح دائما . وهي على صعيد البنية الفوقية للمجتمع تعني في هذه الحالة سيادة مفاهيم بعيدة جدا عن الاصالة القومية والانسانية والاخلاقية . كما انها ، على صعيد الحياة الاجتماعية ، تعني أيضا التمايز الطبقي والتفرقة في شتى أشكالها وألوانها .

■ ... واذا كان لا بد لاية بنية مادية في المجتمع من أن ترتبط ببنية ثقافية مطابقة تعبر عن تلك البنية المادية وتعكسها ، فان الثقافة اللبنانية المرتبطة بالاقتصاد المتاجر ، والنبتة عنه ، تمتد عموديا

في التاريخ ليمقى لنا منها 'يوم خطوط باهتة مجردة من عناصر البقاء والديمومة لأنها في ارتباطها بالبنية المتأجرة قد فقدت عنصر الإصالة الإنسانية الذي هو جوهر كل خلود ثقافي وكل بقاء أدبي وفنسي . ولو قد أتيح للوجه الثقافي الآخر ، وجه الثقافة الشعبية المناقضة لثقافة الماركنتيلية أن يصل إلينا مدونا عبر مراحل التاريخ ، لكانت خزائن برانا الثقافي لا تشكو الهزال الذي تشكوه ، ولكانت لنا فيها كنوز إنسانية باقية .

■ أما عن الامتداد الأفقي للثقافة اللبنانية المرتبطة بعجالة الليبرالية (الكومبرادورية) في السوق الراهن فان نتاجه يتميز بالخطوط العامة الآتية ، فقد تحدث الدكتور ميشال عاصي :

١ - في مجال الفكر والفلسفة : دراسات وأبحاث يستعيين أصحابها من المفكرين الليبراليين بالمنطق الشكطي للفكر المثالي ، والفلسفة المثالية بشكل عام ، من أجل تغطية الواقع اللبناني السائد بمظلة فلسفية وافية ، وإيجاد الدمع الفكري والأيديولوجي السلازم لبقائه واستمراره . أن فلسفة هؤلاء ليست أكثر من مجرد فلسفة تبريرية لواقع اجتماعي غير عادل ، وقد تفتح على أفلام بعضهم براغم نزعة تحررية لكنها في أحسن الاحوال لا تتعدى كونها نزعة اصلاحية ضمن إطار هذا الواقع وأبعاده .

٢ - في الادب: تسيطر على الإنتاج الأدبي المرتبط بالواقع السائد نزعة الجمالية الشكلية والاهتمام الكلي باللفظة والمباراة والاسلوب بحيث لا يمتد مضمون هذا الادب الى أبعد من القضايا الفردية والهامشية للإنسان المعاصر ، ولربما ارتقت اهتمامات المضمون عند بعض الأدباء الحديثين لتتناول وجها من مأساة العصر هو وجه الضياع والعيشة التي يعانيها الكتاب المرتبطون بالواقع التاريخي للبرجوازية العالمية النهارية .

٣ - في الفنون الجميلة : يعاني هذا القطاع ، لا سيما في الفنون البلاستيكية ، من كونه قطاعا ناشئا يفتقر الى جذور تاريخية في الحضارة العربية والحضارات السامية عموما ، وهو في وصفه المرتبط بالنظام السائد رازح ، في معظمه ، تحت تأثير النزعات الحديثة في الفنون الغربية البرجوازية ، وتوجه في اتجاه الجمالية الشكلية المرتبطة بالمضمون السلبي للضياع والقلق والعيشة وما إليها .

■ وفي خريطة الامتداد الأفقي للثقافة اللبنانية المعاصرة والحديثة يطالعنا الوجه التقدمي لهذه الثقافة . وهو وجه فتي متفائل يحاول قدر المستطاع ، وبمقدار ما تسمح به الحرية النسبية التي يتمتع بها اللبنانيون ، أن يكون ، منذ مطلع هذا القرن بل قبل ذلك ، الوجه المعبر عن حق الجماهير اللبنانية الواسعة بالحياة الحرة الكريمة ، وعن ارتباطها المصري بحركات التحرر العربية والعالمية على اختلاف جبهاتها ومعاركها .

وإذا كنت لا تستطيع أن أذكر هنا الآن أسماء العديد من الكتاب والشعراء والفنانين الذين يتجسد في إنتاجهم هذا الاتجاه التقدمي لثقافتنا - وبينهم حي يرزق بيننا ههنا - ولا أن أحصي آثارهم في شتى حقول الإنتاج ، فلا أقل من أن أشير بتقدير واعجاب الى بعض من رحلوا عنا ولا تزال ذكراهم الأدبية حية في ثقافتنا الوطنية وقد كانوا من روادها ، كما كانوا أساتذة لجيلنا ، أمثال عمر فاخوري ، ورفيف خوري ، وجورج حنا وغيرهم ممن لا تحضرنى الساعة أسماؤهم وهم كثيرون .

غير أن تجنب الإسهاب في ذكر العديد من العاملين في الحقول المختلفة لثقافتنا التقدمية في لبنان اليوم لا يعني في المقابل من الإشارة العابرة الى أن هؤلاء وان كانوا جميعا ينطلقون من التزام قضايا التقدم والتحرر لشعبنا وللشعوب الكافحة الأخرى ، إلا أنهم يختلفون فيما بينهم من حيث درجة وعيهم لحقيقة هذه القضايا ولابعادها السياسية والأيديولوجية ، كما أنهم يختلفون حول وسائل

التعبير الجمالية والشكلية فيذهبون في ذلك مذاهب فنية شتى . ■ على ان الإبداع الثقافي الاصيل ، في أي نشاط باق مسن نشاطاته والى آية أيديولوجية انتمى ، يظل في النهاية تعبيرا عن الالتزام الكامل لقضية ما من قضايا الإنسان وبفض النظر عن محتواها واتجاهها ، التزاما رسوليا يعادل معنى الحياة وشرف الوجود . من هنا ان الإبداع الثقافي عندنا ليس حتما وليد اليد اليسارية أو التقدمية فحسب ، ولا هو مستحيل على اليد اليمينية ، بمقدار ما هو قبل كل شيء في أصالة اليد التي تدع أكانت في هذا الإنجاز أم ذلك . ويبقى أخيرا ان مناخ الماركنتيلية والارتباط به يحول في معظم الاحوال دون أي ابداع إنساني لانه يناقض أي التزام إنساني ونزعة إنسانية .

الجلسة الثالثة : حول أشكال العلاقات الثقافية

كانت الجلسة الثالثة للندوة السوفياتية - اللبنانية ، أدرب أن تكون جلسة عمل من أجل تنوع أشكال التعاون والعلاقات الثقافية بين كتاب البلدين . وقد استهل الدكتور سهيل أدريس ، الأمين العام لاتحاد الكتاب اللبنانيين ، هذه الجلسة بطرح بعض الاقتراحات حول التعاون بين الاتحادين . وفيما يلي خلاصة هذه الاقتراحات :

□ من كلمة الدكتور سهيل أدريس :

قدم وفد اتحاد الكتاب اللبنانيين في الندوة المشتركة الأولى التي عقدت في موسكو يومي ١١ و ١٢ ايلول سنة ١٩٦٩ بدعوة من اتحاد الكتاب السوفيات اقتراحات عديدة للتعاون بين الاتحادين من أجل توثيق الروابط الفكرية بين الأدباء اللبنانيين والأدباء السوفيات لصالح التقدم والادب .

وهذه الندوة الثانية التي عقدت في بيروت هي إحدى ثمار هذا التعاون حيث عرض الاصدقاء أعضاء وفد اتحاد الكتاب السوفيات صورة وافية عن الحركة الأدبية بمختلف وجوهها في بلادهم ، وعرض أعضاء وفد اتحاد الكتاب اللبنانيين صورة أخرى عن الحركة الأدبية في لبنان والعالم العربي .

ولا شك ان هذا التعريف بالادبين لكل من الوفدين سيكون عوناً ثميناً لكل طرف في تحقيق خطوة عملية هامة ، هي اناحة الفرصة لترجمة آثار نموذجية من كلا الادبين السوفياتي واللبناني العربي الى لغة البلد الآخر .

ونعتقد ان الاتحادين مستعدان الآن للعمل على ترجمة آثار عدد من أعضائهما الى اللغة الأخرى . ونستطيع هنا أن نقدم الشكر لاتحاد الكتاب السوفيات لانه بادر الى تحقيق شيء من ذلك بنشره نماذج من القصص والقصائد في بعض مجلاته . ويسر اتحادنا أن يقدم للوفد الإصديق في نهاية هذا اللقاء مجموعة مختارة من إنتاج بعض الكتاب اللبنانيين الحاضرين هنا ، راجيا أن يتمكن من اعداد مجموعة أخرى لبعض أعضاء الاتحاد الآخرين المنتهين اليه وارسالها الى اتحاد الكتاب السوفيات في أول فرصة ممكنة .

وبالمقابل ، فاننا نقترح على الوفد السوفياتي أن يعد مجموعة مختارة من إنتاج بعض الكتاب السوفيات الرموقين تمهيدا لنشرها في لبنان . وبالرغم من ان موضوع النشر في لبنان لا يخلو من صعوبات لان دور النشر عندنا دور خاصة لا تتلقى من الجهات المسؤولة اية مساعدة وتخضع بالتالي للمقتضيات التجارية ، فنعتقد ان بالامكان الاتفاق مع بعض الدور المحترمة لاصدار نماذج من النتاج السوفياتي اذا يسر لها أمر ترجمة هذه النماذج من الروسية الى العربية وجرى الاتفاق على موضوع تغطية حقوق المؤلفين السوفيات .

التتمة على الصفحة - ٦٥ -

قضايا الادب والادباء

تمة المنشور على الصفحة - ٨ -

■ وقد علق أناتولي سافرونوف على اقتراحات الدكتور سهيل ادريس ، ومنافشات واقتراحات الحاضرين ، فأعرب عن تقدير الوفد السوفياتي لهذا الاهتمام بالثقافة السوفياتية وبالادب السوفياتي ، وقال ان اقتراحات الدكتور سهيل ادريس ستكون موضع درس جدي في اتحاد الكتاب السوفيات ، وخاصة فيما يتعلق بتبادل اصدار الكتب وترجمتها في كلا البلدين ، ومسألة اصدار نسخة عربية من المجلة الادبية السوفياتية في موسكو على غرار النسخ التي تصدر بالفرنسية والانكليزية واللغات الاخرى . وقال انه ، بعد اتفاقنا على البدء ، صار لا بد من وضع برامج مشتركة لتعريف الادب العربي الى السوفيات وتعريف الادب السوفياتي الى العرب . ومثل هذه البرامج يجري عليه الاتفاق خلال اتصالات كتابية وشخصية مقبلة . وعلى كل حال فان ما أخذناه من كتب وفضص لبنانية سيكون موضع عناية جديّة ، خاصة ونحن نعدّ لاصدار عدد من الكتب المترجمة عن آداب شعوب اسيا وافريقيا ، على غنبة المؤتمر القادم لكنساب اسيا وافريقيا الذي سيعقد في « الما - آنا » عاصمة كازاخستان السوفياتية عام ١٩٧٣ .

الجلسة الرابعة : حديث عن الشعر

في هذه الجلسة ، استمع الكتاب اللبانيون الى حديث ممتع القاه اولجاس سليمانوف عن الوضع الثقافي في كازاخستان السوفياتية ، ثم عن الشعر السوفياتي المعاصر وتعدد انواعه وأشكاله . وجرى حوار مع الحضور حول نظرية الشعر وخصائص شعر الشباب في الاتحاد السوفياتي .

□ من كلمة اولجاس سليمانوف :

- اعتقد ان وضع الادب والادباء في كازاخستان السوفياتية ليس معروفا في البلاد العربية . لهذا سأبدأ حديثي عن هذا الوضع : ■ يبلغ عدد اعضاء اتحاد الكتاب في كازاخستان اكثر من ٣٠٠ عضو ، يتوزعون في فروع : الشعر ، النثر ، المسرح ، النقد ، الترجمة ، وأدب الأطفال . واتحاد الكتاب دار نشر كبرى باسم « الكاتب » ، هي من اكبر دور النشر في آسيا الوسطى ، وهذه الدار تصدر مئات الكتب سنويا كل كتاب لا يقل حجمه عن ١٠ و ١٥ ملزمة . وبالإضافة الى هذه الدار توجد في كازاخستان دور نشر أخرى تنشر كذلك الاعمال الادبائية والعلمية والسياسية والاجتماعية . والكتاب عندنا يسهم في الصحافة والراديو والتلفزيون والسينما ، فهو متعدد الاهتمامات .

■ والكتاب عندنا يولون الترجمة اهتماما كبيرا ، وخاصة ترجمة آداب مختلف شعوب الاتحاد السوفياتي . وقد أصبحت لدينا الآن خيرة في الترجمة رأسا من اللغات الاخرى : الأوروبية ، والعربية ، والفارسية ، والتركية . وقد كنا نترجم آداب هذه الشعوب عن اللغة الروسية ، قبل أن يكون عندنا الاختصاصيون باللغات الاخرى . لقد ترجمنا مؤلفات لدانتى عن الإيطالية رأسا ، وكذلك لشيلر ، وخوسيه مارتى ، وسعدي ، والآن يترجمون عندنا مجموعة من الادب العربي . ■ الادب المكتوب عندنا بدأ ، فقط ، منذ مئة عام . ومؤسس هذا الادب هو ابراهيم المشهور باسم « آباي » . المرحلة الاولى بدأت بالحرف العربي ، واستمرت هذه المرحلة حتى عام ١٩٤٠ عندما أخذنا نستعمل الحرف الروسي . وفي الثلاثينيات برزت عندنا أسماء شهيرة : « ساكن سيف اللين » و « الياس جان سوبورف » والقصاص « بني بت مايلين » وأسماء كثيرة أخرى أشهرها القصاص « مختار عويروف » . وأشهر الشعراء عندنا « دجونبول » ، وهو أول شاعر كازاخي صار مشهورا على نطاق الاتحاد السوفياتي كله . وكان صوته

وهناك موضوع المنشورات السوفياتية بالعربية ، تلك التي تصدر عن دار التقدم بموسكو . وهي بالاجمال منشورات هامة ولكن المؤسف انها لا تصل الى القراء العرب في العالم العربي او لا تصل الا بشكل محدود جدا . فلعل بإمكان اتحاد الكتاب السوفيات ان يجري اتفقا مع تلك الدار يستطيع بهوجهه ان يتفق مع اتحادنا او مع بعض دور النشر في لبنان لتوزيع هذه المنشورات بحيث يتمكن القراء العرب في لبنان أن يطلعوا اطلاقا أوسع على الانتاج السوفياتي المعاصر .

ونحب هنا أن نكرر اقتراحنا السابق بدراسة امكانية اصدار مجلة شهرية او فصلية باللغة العربية في الاتحاد السوفياتي على غرار المجلات التي تصدر باللغات الاجنبية الاخرى . واذا حسمت توزيع هذه المجلة في العالم العربي عامة وفي لبنان خاصة فستكون هذه أنجع وسيلة لتعريف أحدث انتاج الكتاب السوفيات الى القراء العرب .

كما نحب أن نكرر اقتراحنا بالتعاون لتأليف قاموس عصري حديث جامع ، روسي - عربي ، وعربي - روسي .

وينبغي ألا يفوتنا ونحن نتداول في هذه الاقتراحات والاقتراحات الاخرى التي سيرضها اعضاء هذه الندوة اليوم ان هذا التعاون ينبثق ويصب في غاية واحدة هي ايمان الشعبيين العربي والسوفياتي بالعدالة وضرورة مناهضة الاستعمار والامبريالية والصهيونية . وحين يزداد التعاون بين الكتاب العرب والسوفيات فستزداد أواصر الصداقة والتضامن بين الشعبين لصالح التقدم والحياة والحرية .

■ بعد هذه الاقتراحات ، جرت مناقشة حول عدة قضايا تتعلق بالترجمة ، والمخطوطات العربية في الاتحاد السوفياتي ، والمنشورات العربية لدار التقدم في موسكو . وبصدد منشورات دار التقدم قال محمد دكروب ان كتب ماركس وانجاز ولينين التي تطبعها الدار باللغة العربية نلحى رواجاً ملموساً في الكثير من البلاد العربية ، ولكن ترجمتها تحتاج الى دقة أكثر من حيث الصياغة العربية . أما الكتب الادبية السوفياتية فان ترجمتها العربية ، بوجه الاجمال ، ضعيفة ، ولا يعطي الطابع الحقيقي للادب الادبي ، الا عندما يقسوم بالترجمة أدباء عرب معروفون مثل غائب طعمة فرمان مثلاً ، فان غائب هو واحد من الروائيين الاصليين في البلاد العربية ، فهو اذن يترجم النص الادبي من خلال فهم وتدقيق ادبي أصيل لهذا النص ، يتجلى في الطابع الادبي للترجمة نفسها . ولهذا لا بد أن تستعين دار التقدم بأدباء عرب متمكنين من أدواتهم اللغوية والفنية اما لاعادة صياغة الترجمات الادبية استناداً الى النصوص الفرنسية او الانكليزية ، واما بالنخوص بالترجمة رأسا عن اللغة الروسية ، وهذه المهمة يستطيع اتحاد الكتاب السوفيات ان يساعد على تحقيقها . ثم اقترح الدكتور محمد يوسف نجم وضع بيبوغرافيا شاملة سواء بالمخطوطات والكتب العربية الموجودة في مكتبات الاتحاد السوفياتي ، أم بالدراسات السوفياتية حول الآداب والفضايا العربية ، وكذلك ضرورة توزيع بيبوغرافيا - باللغة الانكليزية والفرنسية - حول مختلف المنشورات في الاتحاد السوفياتي حتى يتاح للباحثين في الخارج معرفة حركة تطور الفكر والنشر والثقافة في الاتحاد السوفياتي .

يدوي في اقصى سنوات الحرب ، وان فصيدته الرائعة « ايها اللينينفرايون ، يا ابائي » مشهورة جدا ، حتى انها صارت اشبه بالنشيد الرسمي للينينفراو . وقد اطلق اسمه على شوارع عديده ، وكذلك على مدينة « ناراز » التي صار اسمها مدينة « دجنبول » . وفي هذا العام سوف تقام ذكرى شاعرين كبيرين في بلادنا همسا « آباي » و « دجنبول » ، وقد شكلت لجنة حكوميه للتخصيص الواسع لهذا الاحتفال .

■ لقد ذكرت كل هذا لالفت نظركم الى العناية الكبرى التي يحاط بها اسم الشاعر والاديب في الاتحاد السوفياتي . في « آباي - آنا » مثلا كثير جدا من التمايل أغلبها لشعراء وأدباء . ومنذ القدم وشعبنا ينظر الى الشاعر او الاديب نظره الى معلم ، وهذه العلاقة ، الحب والاحترام ، نشأ منذ الطفولة . لهذا فان الشاعر السوفياتي يدرك العبء الكبير الذي يتحمل مسؤوليته وهو مسلح بالقلم . وكذلك فان حزينا وحكومتنا يدركان القوة التي يملكها الكاتب ، فالكلمة عندنا تدفع وتحرك الشعب الى الامام .

من هنا أهمية ما يقال له ، في الخارج ، « رفاة على الاديب » ... وعندما يقال انه لا توجد عندنا « حرية كلمة » فان هذا صحيح ، ليس حسب تفسير كتاب الغرب ، بل حسب تفسيرنا نحن ، بمعنى انه ليست عندنا حربه لدعاة الحرب والعنصرية والصهيونية والعداء للشيوعية ، هذا النوع من « الحرية » نحاربه . وهذه الحاربه نراها عدلا . وان كل من يقف ضد حزينا وضد صداقتنا مع الشعوب فلا يحق له الانتماء الى اتحاد الكتاب . فنحن لا نسمح ابدا بتسميم ارواح اطفالنا ، ذلك ان شعوبنا التي قدمت ضحايا كثيرة لبناء هذا الوطن وهذا النظام ، لا نريد ان تتيح لاحد ان يجعل هذه الضحايا تذهب عبثا . ان البرجوازية العالميه ستبقى بهاجمنا ، والكلمات المسمومة تنسرب اليها من الخارج . ولكن الصداقات حولنا تتزايد ايضا . واحيانا يقع كتاب من عندنا ضحايا لهذه السموم . امس تحدث صديقنا ميشال عاصي عن الماركنتيلية في الادب . احيانا نلاحظ هذه النزعة عند البعض من كتابنا الذين يحبون ان يصبحوا معروفين بسرعة في الخارج ، فيقعون في شباك الدعاية الغربية التي تستخدمهم لمصالحها . طبعاً هذه شهرة اسبوعية ، لا تطول اكثر من اسبوع او اسبوعين . والكاتب الذي يقع في هذه الشباك يدفع الثمن مسن سمعته ، لانه يتحول الى سلاح رخيص بيد الاعداء .

■ عندما نتحدث عن الشعر وقضاياها ، لا بد ان ننظر الى الناحية الايدولوجية في القضية . فاذا كان صديقنا ميشال سليمان تحدث امس عن بعض الاشكال الشعرية وتصارعها ، فاني احب ان ابحت القضية من جانب آخر . فنحن لا نعلق أهمية حاسمة على الشكل ، سواء كان قديما او حديثا . الشكل ليس مشكلة بالنسبة لنا ، بل المهم هو المضمون الثوري . لقد مررت بهذه المرحلة الشكلية ، وعانيت كثيرا حتى وصلت الى هذه القناعات . نحن نعرف كم ان ميافوسكي كان معلما في الشكل الشعري الجديد . ولكن لو ان مضمون هذا الشعر لم يكن ثوريا لما كان ميافوسكي هو ميافوسكي . وفي ايامه وجد آخرون لعبوا بالشكل كثيرا ، ودوت أسماؤهم في تلك الايام ، اما الآن فلا احد يعرف اسماءهم ، لان لعبتهم كانت مجرد لعب بالشكل . ان أي لاعب يستطيع ان يعبر ، ولكن المهم : عن أي شيء يعبر ، وماذا يريد ان يقول ، ما هو مضمونه ، ثم ، كيف يعبر ؟ عندما يطرح علينا السؤال : هل يمكن التعبير عن المحتوى الحديث بشكل قديم ؟ .. قد أقول لا ، وربما أقول نعم في الوقت نفسه ... الحياة تبعد دائما اشكالا جديدة ، على انني لا اعتبر ان قضية تفصيل شكل على شكل قد حلت نهائيا . ولا بد ان يستمر الجدل حول هذه القضية . واعتقد انه حتى المناقشات السلبية تعطي احيانا نتائج ايجابية . انها تحرك الفكر ، وتدعو الى الجدل .

والحقيقة تولد خلال هذا الجدل . وفي الادب السوفياتي لم تتوقف المناقشات حول هذه القضايا ، وبفضل هذا يتطور الادب السوفياتي . وكل الذي اشدد عليه هو ان هذه المناقشات لا ينبغي ان تفسر في الخارج تفسيراً مشوها لخدمة اغراض سياسية معينة . قديماً استخدموا بعض آراء يفنشكو لاغراض سياسية ، على ان يفنشكو رفض ويرفض مثل هذه التأويلات .

■ في الستينات خف الاهتمام عندنا بالشعر المنبري الجرائدي المباشر . وقد اخذ يظهر عندنا نوع جديد من محبي قراءة الشعر لا مجرد سماعه . ان اشعار الكتاب الشبان اصبحت الآن اكثر عمقا من حيث الفكر ، والاشعار التي كانت تلقى عند التمايل في الساحات كان يمكن ان يستمع الانسان اليها ، ولكن صار من الصعب ان تقرأ باهتمام ، لانها مباشرة وغير عميقة . ان اشعار فوزينسنسكي ، مثلا ، واشعار يفنشكو ، أصبحت اكثر عمقا وفكرا وبعدا عن الجرائدية . وان لائحة أسماء الذين يدعون هذه المرحلة الشعرية الحاضرة تضم الكثير من الاسماء والاعمار ومن مختلف القوميات . عندما يسألوننا في الخارج : اية ايدولوجية في الاتحاد السوفياتي ، نجيب : انها ايدولوجية واحدة . أما الاتجاهات الفنية والادبية فهي بمسدد الشعراء والفنانين والكتاب . نستطيع ان نعدد مدارس : رسول حمزانوف ، وفيسين كوليف ، وتفاردوفسكي ، الى جانب يفنشكو وغيره . وهناك الذين يكتبون بالاسلوب الاسكندري للقرن التاسع عشر ، وهناك اساليب عصرنا الكوني الجديد . ويمكننا الحديث عن المدرسة اللينينفراوية ، وهي اكثر كلاسيكية واكثر اهتماما بالشكل نابعة من اخمانوفا والكسندر بلوك . ثم المدرسة المسكوبية ، فهي اكثر خطابية وتبدأ من ميافوسكي .

ان طورسون زاده ، مثلا ، يكتب بشكل كلاسيكي عريق . في بلاده طادجكستان لا يزال الشكل الكلاسيكي هو المسيطر ، والصور الشعرية ترجع الى تراث قديم ، ويصعب على شعراء طادجكستان التخلي عن تلك الصور . على ان طورسون زاده يعبر عن القضايا المعاصرة بهذه الاشكال القديمة ، وتنعكس في شعره مزايا القرن العشرين ، دون ان يفقد شعره لونه الوطني ، بل هو يعني هذا اللون .

ميجيلاينس ، في جمهورية لاتفيا ، مثلا ، هو من كبار شعراء الاتحاد السوفياتي . انا شخصيا قد لا اميل الى اسلوبه في الشعر ، فهو عقلاني ، اشكاله مفكر بها جدا . وشعره يحتوي مضمونا فكريا عميقا يتفق مع حيوية جمهورية البلطيق انه يقوم بعمل كبير في تطوير الادب السوفياتي :

وهكذا ترون ان مدارس الشعر متطورة جدا ، من مدرسة طورسون زاده الى مدرسة ميجيلاينس .

بعد هذا العرض الموجز ، والممتع لانواع مدارس الشعر السوفياتي المعاصر ، اخذ الحاضرون يحاورون اولجاس سليمانوف ويسألونه عن بعض القضايا . وهذا الحوار يمكن ايجازه كما يلي :

■ الدكتور سهيل ادريس : قال الصديق سليمانوف ان المهم في الشعر هو المحتوى . وعندما سئل هل الشكل القديم يصلح للمحتوى الحديث اجاب : ربما لا ! .. الا يعتقد صديقنا ان الشكل والمحتوى مرتبطان عضويا ، وان احدهما يؤثر في الآخر ؟ .. وعندما يقال ان المهم هو جودة الخمر وليس الاناء ، الا يعتقد ان الاناء هنا هو جزء من الخمر ويؤثر في طعمه ؟

■ سليمانوف : اعتقد ان الشكل والمضمون مترابطان باستمرار ، على ان المحتوى ، غالبا ، يشكل شكله ، ولا أقول ان المهم هو الخمر او آنية الخمر ، المهم عندي هو : هل استطاع هذا الشكل ان يجسد

هذا المحتوى ، سواء في هذا الوزن أم ذلك . ولكن ، اذا كانت الآنية هي التي نعطي شكل الخمر ، فان لب الجوز ، أي محتواه ، هو الذي يعطي شكله . فالمضمون ، غالبا ، ما يشكل شكله .

■ رضوان الشهبان : من الملاحظ في تاريخ الادب ، ان الشكل ، في كثير من الاحيان ، يكون ثابتا نسبيا خلال مرحلة تنطور فيها المضامين ، ويبقى الشكل القديم . هذه الظاهرة رأيناها في شعرنا العربي ، فالشكسل الكلاسيكي عاش 15 قرنا . فما هي في رأيكم العوامل التي تدخل في المضمون وتغير الشكل ؟

■ سليمانوف : هذا السؤال واسع الى درجة انه من الصعب جدا الجواب عنه بسرعة ، فضلا عن صعوبة وتعقد هذه القضية . فكيف ظهرت هذه البحور والاوزان الكلاسيكية ؟ في تاريخ الادب الكلاسيكي يعتبرون ان بحر الشعر يتعلق بطول نفس الشاعر عندما يغني . . فهو لا يستطيع ان يغني ما يريد دفعة واحدة . . هكذا يقولون ، وحتى الان لم نعرف بدقة الاسباب التي اوجدت هذا البحر الشعري امذاك . هناك اشعار عن الحب ، واشعار فكاهية ، واشعار بطولية وملحمية ، تأخذ لنفسها اوزانا واشكالا متنوعة مختلفة ، واحيانا متفاربة . ومن الطبيعي انه عندما تظهر في حياتنا اشياء ومشاعر وحالات جديدة فانها تفتش لنفسها عن اشكال جديدة . ومن الصعب ان نقول ، مسبقا ، ان الشكل يجب ان يكون هكذا او هكذا .

■ رضوان الشهبان : الا نعتقد ان الطبقات ، في حال صعودها ، تتميز بمزاج معين ، وذوق معين ، وعقل معين . وهذه منعكسة عن واقع هذه الطبقة . ألا ترى ان هذه العناصر الثلاثة هي التي تمارس تأثيرها في تغيير الشكل ؟

□ سليمانوف : لنعد الى ميخائيل نعيمة . لقد كان يمثل طبقة جديدة صاعدة هي الطبقة العاملة . وكان يرى ان عليه ان يبدع ادب هذه الطبقة ، وان يدخل لفة هذه الطبقة في الشعر ، بالإضافة الى نظرتها للاشياء . واستطاع ميخائيل نعيمة ان يدخل لفة طبقته العاملة في الشعر . اي ان لب الجوز صنع لنفسه شكله ، من الداخل . وكان يقول : يجب ان اعيد للشارع لفته ، شعرا . وحطم ميخائيل نعيمة الاشكال القديمة . فهل في هذا جواب عن السؤال ؟

□ فؤاد الخشن : تحدث صديقنا سليمانوف عن شعراء الستينات في الانحاد . احب ان اعرف ، اولا : بماذا يختلف شعراء الستينات عن الشعراء السابقين لهم ؟ وثانيا : ماذا اضافوا الى الشعر السوفياني ، في الشكل وفي المضمون ؟

■ سليمانوف : عندما نتحدث عن شعراء الستينات اعني بهم الشعراء الذين بدأوا حياتهم الشعرية في السنوات العشر الاخيرة . هذه الفئة من الشعراء ظهرت خاصة بعد المؤتمر العشرين للحزب ، الذي فتح مرحلة جديدة في الحياة السوفياتية . وقد استقبل الناس هذه الاحداث ، وما كشفت عنه في اشياء سلبية في الماضي ، بشعور حاد . وصرنا نلاحظ أحداث خرق الانسجام في الحياة والجمتمع . واخذت اصوات الاحتجاج تتصاعد ضد هذا الظلم المحدود في الماضي . . وصار هذا هو محتوى نتاج هؤلاء الشعراء . . ويجب التأكيد هنا ان هذا المحتوى لم يكن يناقض خط الحزب ، بل انه ساعد على توحيد اتجاهات المؤتمر الى الشبيبية . وهذا أحد عوامل ازدهار الشعر الخطابي امام التماثيل في الساحات العامة . اما من حيث الشكل فان شعراء الستينات لم يدخلوا اي جديد في الشكل . . فهذه الاشكال كانت موجودة منذ السنوات الاولى للثورة . والملاحظ ان التأثير الاكبر على شعراء الستينات لعبة شعر ميخائيل نعيمة ، سواء

من حيث الاشكال ، ام خاصة من حيث مضامينه المعادية للبيروقراطية وللانتهازية . ان شعراء الستينات قد اكملوا اتجاه ميخائيل نعيمة في هذا المضمار ، على نظور معاصر اكثر .

□ رضوان الشهبان : الا نعتقد بتعميش الاشكال الجديدة والقديمة في بيئة طبيعية واحدة ، بوصف كون الانسان جديدا وقديما في وقت واحد ؟

■ سليمانوف : نحن لا نتحدث عن الاشكال بشكل نسبي فاطع ، مع هذا الشكل ام ضد ذلك . الادب عندنا ينطور ، ويمارس الشعراء مختلف الاشكال ، ويتناقشون ، وتعايش هذه الاشكال كلها معا . ان الاشكال لا تشكل عندنا مشكلة .

في الجلسة الختامية : حديث عن الفصحة اللبنانية - وصدور بيان مشترك

الجلسة الختامية للدوة السوفياتية اللبنانية كانت مخصصة لسماع حديث عن « ملاحم عامة للقصة اللبنانية القصيرة » الفاه محمد دكروب . تم مناقشة وصياغة وقرار البيان المشترك ، من كلمة محمد دكروب :

استعرض محمد دكروب مراحل الفصحة اللبنانية القصيرة منذ مجموعة « كان ما كان » لميخائيل نعيمة ، وبروز تأثير الفصحة الروسية في هذه المجموعة وغيرها فيما بعد .

ثم تحدث عن خصائص فصص ما بين الحربين ، التي من اعلامها: نوفيق عواد ، وخلييل تقي الدين . ثم فصص ما بعد الحرب ، خاصة القصص الفلاحية لمارون عيود ، حتى وصل الى المرحلة الحديثة:

■ « بعد الحرب العالمية الثانية ونهوض حركة التحرر العربي ، وانتشار الافكار التقدمية اوسع واعاقق مع بروز الانحاد السوفياني كنموذج للمجتمع الجديد . اخذ التحول التحرري العام في الفكر العربي يتجلى في مختلف انواع الابداع الادبي ومنها القصة ، فظهر جيل واسع من القصاصين اللبنانيين الذين يعرفون في افاضيتهم بهذا الشكل او ذلك ، عن النزوع العام لحركة التحرر العربية ، سواء بوجهها القومي التقدمي ام بوجهها الاشتراكي الذي يضم الشيوعيين ومختلف القائلين بالاشتراكية . بين هؤلاء القصاصين نجد ، مثلا ، سهيل ادريس ، احمد سويد ، رضوان الشهبان ، وربما كاتب هذه السطور ، ثم محمد عيتاني فيما بعد (الذي اخذ على عاتقه كشف واسرار ومجاهل بيروت والمجتمع البيروني بكل غناه وتنوعه) ، وتوما الخوري ذو النكهة التشيخوفية ، وادوار البستاني ، خصوصا في مجموعته الاخيرة « عنب تشرين » . ثم يلي بعلبكي النائرة على ما في حياتنا المعاصرة ، في المدينة ، من عادات وتقاليد وعصبيات اقطاعية وقبلية ، خصوصا فيما يتعلق بمكان الفتاة والمرأة في هذا المجتمع المتخلف واللاهت وراء مظاهر المدينة .

■ لكل واحد من هؤلاء نكهته الخاصة التي لا يمكن حتى الاشارة اليها في مثل هذا الوقت القصير جدا ولكن لا بد فيلختام هذا الحديث ، من الاشارة الى ظاهرتين في القصة العربية الحديثة .

- الظاهرة الاولى هي حركة التجديد الشاملة في بناء القصة العربية القصيرة وتركيبها واجوانها واساليبها خلال السنوات العشر الاخيرة . هذه الحركة التي شملت ، بشكل خاص ، مصر والعراق وسوريا ، وتجلت في كون القصة القصيرة اقتربت من الشعر من حيث رؤياها للاشياء ، ومن السينما الحديثة من حيث التركيب والتقطيع والمونتاج المعقد ، وتداخلت الاومنة في نسج القصة ، وصار الاسلوب يعتمد الجمل القصيرة المتوترة ، بحيث ان القارئ لم يعد

عاصي وادوار البستاني ومحمد دكروب واحمد ابو سعد نفاير عن
الوضع الادبي الراهن في لبنان بمختلف وجوهه . وقد تعرف كل
وفد الى القضايا الادبية والفكرية التي نهم المفكرين والادباء في
البلدين .

وانطلاقا من ايمان المجتمعين بان الادب التقدمي وثيق الصلة
بحياة الشعب وبمآثيه ومتطلباته، فقد اولى المشاركون في الندوة
اهمية كبيرة لادب النضال الوطني ولدور الادباء في دعم الكفاح
العادل الذي يخوضه الشعوب العربية ضد الامبريالية العالمية
والصهيونية ، وللنضال الباسل لشعوب الهند الصينية ضد العدوان
الاميركي ، ولحركة التحرر الوطني لشعوب المستعمرات البرتغالية
وجنوب افريقيا .

ان الكتاب السوفياتيين يقدرون تقديرا كبيرا اسهام زملائهم
اللبنانيين في قضية نضال الشعوب العربية من اجل ازالة آثار
العدوان الاسرائيلي بشكل تام .

كما ان وفد الكتاب اللبنانيين قدر تقديرا كبيرا موقف الكتاب
والمفكرين السوفياتيين خاصة ، وموقف الاتحاد السوفياتي عامة،
بدعم نضال الشعوب العربية بكل الوسائل المشروعة لتحرير الاراضي
العربية التي يحتلها المزدنون الاسرائيليون ، واعادة الحقوق الشرعية
للشعب الفلسطيني العربي .

وقد تداول المجتمعون في مسائل توثيق التعاون بين الانحاديين،
واولوا اهتماما كبيرا لقضية ترجمة افضل المؤلفات المعاصرة للكتاب
اللبنانيين الى لغات شعوب الاتحاد السوفياتي ، وافضل مؤلفات
الكتاب السوفياتيين الى اللغة العربية . وقد انفق اعضاء الوفدين
على ضرورة مواصلة اللقاء في ندوات اخرى لمناخمة الحوار من اجل
ادب تحرري تقدمي انساني يسهم باوقف نصيب في خلق الاسمان
الجديد .

صدر حديثا

من فلسطين ريشتي

للشاعر ابي سلمى

((انت الجذع الذي نبتت عليه اغانينا .))

محمود درويش .

منشورات دار الآداب

ثمن النسخة ٢٠٠ ق . ل

مجرد ملتح لفصة سريفة ، بل صار مشاركا في عملية الخلق ايضا،
بمعنى ان هذا القارئ لا يمتلك احداث القصة ومضمونها الا بعد
قراءتها كلها ، واجراء عملية ذهنية ، ممتعة ، لاعادة تركيبها
اي اعادة خلقها من جديد داخل وعية ولا وعية على السواء .

هذا الاتجاه الجديد ، يحمل مشاكل متعددة كما يحمل منجزات
رائعة ايضا ، بقدر ما فيه من فنانين اصليين ومن مدعين ومفتعلي
تجدد لمجرد التجدد لا لضرورات فنية وحياتية معا . ولعل هذا
الاتجاه الجديد اخذ يتحول الى ظاهرة شاملة بعد احداث حزيران
التي فجرت الكثير من القيم الثابتة السابقة ، ومنها قيم فنيّة
وشكليّة فاذا الكتاب يوغلون اكثر في هذا الاتجاه الذي يساعدهم على
قول ما يريدون قوله ، في نوع من التخليف الاسطوري الرمزي ،
المفهوم على كل حال ، دون ان يتركوا للسلطات الحاكمة ماسك واضحة
تستند عليها لقمع حرياتهم .

- الظاهرة الثانية ان احداث حزيران المأسوية نفسها ، وما
بعدها ، قد تجلت باشكال متعددة ، في اكثرية القصص العربية
الحديثة. وان هذه الاحداث وجدت في لبنان بعض تجلياتها القصصية .
عند سهيل ادريس نجد قصتي ((العراء)) و ((شيخ الكرامة)) ،
وقد ترجمتا الى الروسية ، وسبق لي ان تحدثت عن قصة ((العراء))
واسلوبها المعاصر ، في ندوة موسكو السابقة .

وعند محمد عيتاني نجد قصص ((الصديق)) و ((الصوت)) و
(لحظة الضوء) ثم في تجربته الروائية الجديدة التي لا تزال في
بدايتها وخاصة روايته ((اربع فئاطر زجاجية)) في اعمال عيتاني
هذه اصالة فنية في التجريب والتجديد استطاع القول انها تنبع
من الحدت نفسه وليس من مجرد الرغبة في التجديد .

وعند ادوار البستاني نجد قصتي ((ابو الجدائل)) و ((عليّة
الذكريات)) يرسم فيهما بريشة فنان واع شخصيات متنوعة من
ابناء الشعب الفلسطيني ، بعضها سار في طريق المتاجرة والاخر سار
على درب الكفاح لتحرير وطنه الفلسطيني المحتل . ولعله ليس مصادفة
ان تكون هاتان القصتان ، بمضمونهما الحار والحاد معا ، هما اجمل
قصص مجموعته ، ((غيب تشرين)) من حيث تركيبها وصياغتها الفنية .
ملاحظة اخيرة : ان هذه الموجة الستينية في الفضة العربية
الحديثة لم تتجل بشكل قوي في الفن القصصي في لبنان . فهذا
الفن يعاني الان فترة ركود غريب .. على ان هذه ظاهرة اخرى
تحتاج الى درس وتحليل في مجال اخر ووقت آخر .

بيان مشترك

في موضوع ((الادب ، وافكار العصر))

ثم ناقش الحاضرون صيغة البيان الختامي المشترك للندوة ،
واقره . ولعل هذا البيان هو خير ما نختم به هذا العرض ، وفيه
تلخيص عام للندوة واهدافها . ومسئيل العلاقات مع اصديقاتنا
واصديقاء شعبنا ، الكتاب السوفيات .

وقد جاء في هذا البيان ما يلي :

((بدعوة من اتحاد الكتاب اللبنانيين انعمت في فاعة جمعية
اصديقاء الكتاب في بيروت من ٨ الى ١٤ ايار ١٩٧١ الندوة اللبنانية
السوفياتية الثانية في موضوع ((افكار العصر ، والادب)) وشارك
فيها وفد من اتحاد الكتاب السوفياتيين برئاسة كامل ياشين ،
سكرتير اتحاد الكتاب السوفياتيين ، ووفد من اتحاد الكتاب
اللبنانيين برئاسة الدكتور سهيل ادريس الامين العام لاتحاد الكتاب
اللبنانيين .

في هذه الندوة قدم اناطولي سوفرونوف واوجاس سليمانوف
واوليغ اكريبيكوف تقارير ومعلومات عن تطور الادب السوفياتي
المعاصر . كما قدم كل من الدكتور ميشال سليمان والدكتور ميشال